

نافذة

أبو تمام والحب

حبيب بن أوس، بن ثوس لا يهم، المهم أنه حبيب للشعر والقافية، حبيب للأبد، وبعد زمن من رحيله عشقه المعري أبو العلاء وشرح ديوانه الضخم وسماه نكري حبيب، فاستغنى عن أوس أو ثوس، لم يعنه إن كان عربياً أو مولياً، لم يكثرث لإسلامه أو مسيحيته، يكفي أن النقطة الواصلة بينهما من معرة النعمان إلى جاسم حوران هي القافية الجميلة العذبة، والتفوق الشعري، بل أيضاً أستاذة الشعر، ولاشك في أن أبا تمام هو أول من حمل لقب الأستاذ والأستاذة في الشعر، فكان سيدياً يعرف الشعر وقيمته وأهميته، يحدد ماهيته فلا يفرق فيما غرق فيه الآخرون..

حياة أبي تمام هي الحب بكل فاصلة تمثلها، وهو الذي علمنا معنى أن نحب حقيقة، وحدد الحب الذي يملك قيمة لأرض وديار وإنسان

نقل فؤاد كحيت حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنيه أبدأً الأول منزل

الوطن حنين، وأول منزل، والحب ألفة والأول من الحب هو الذي يبقى منفرداً في الذاكرة، ويحار الإنسان في تحديد الحب الأول، لكنه كما يقول العارفون هو ذاك الحب الذي يحمل الدهشة، إنه كالعقيدة يأتي أولاً وإن جاء لاحقاً بلغ كل ما كان قبله، إنه الوعي بالحب والحالة، إنه نشدان المطلق والتماهي به، والنزوان على حافة انتظار مضمّ مغمس بالحرمان.. أما أحرق طارق بن زياد مراكبه بالحب حتى لا يرجع خطوة إلى الوراء؟

الحب الأول هو ذاك الذي يستبكي فيكون رحمك الأول، والغذاء الأول والإضمامة الأولى، حين فتحت عينيك وتسلأ: أين كان عهد؟ وهل كان ما قبله شيئاً مذكوراً؟

قد يكون الأول حياً هو لحظة الفراق

قد يكون الأول هو لحظة الاعتناق

قد يكون وقد يكون

فإن كنت في قلب الدهشة فأنت الأول وهو الأول

ولا أول قبل، ولا لاحق له

أبو تمام بقي على حبه الأول لم يحد عنه، لذلك عندما عابته إحدى الغواني في مرحلة متقدمة من العمر لم يجد غضاضة بأن يقول لها: ليس لدينا للعشق وقت! استهلكه الحب ذات زمن فلم يبق منه الحب الأول مزيداً يمكن أن يهبه لعابرة قادمة.. والحب عند أبي تمام لامرأة وإنسان كان عقدياً، فها هي صدافته التي صارت مصرب المثل مع الشاعر المهم الكبير علي بن الجهم، على ما بينهما من خلاف في العمر والأستاذة والطبيعة تعد مثالا للصدافة والحب، فأحدهما بدوي صرف، وشعره يعبر عن حاله في السليقة والطبيعة، والثاني منهما أول من فتح طريق الصورة والبيان في الشعر، وما بينهما من اختلاف لم يتحول إلى خلاف، بل صار ضرباً من الحب الوفاء الذي المثال، فحين مال أبو تمام إلى التشيع بتأثير رحلاته وقناعاته وصدقاته لم يؤثر هذا في صداقته لعلي بن الجهم الذي بكى أبا تمام بأبيات يصف فيها الشعر وقد غاضت بنايبيه بموت أبي تمام، والحب قربه من البحري فأعطاه وصيته الثائرة في الشعر العربي بين شاعرين، بل الحب هو الذي جعل أبا تمام يوصي بابي عبادة البحري لدى الحكام والخلفاء..

والحب الأكثر سمواً في حياة أبي تمام كان للشعر والحرص والقافية، وها هو في رحلاته تحبسه الطبيعة عن متابعة مسيرته، فيختار الحرف والقافية، ويسترجع ذاكرته والكتب، ليصنف كتاباً هو الأول في بابه في المكتبة العربية، وهو كتاب «الحماسة» فقد قبع أبو تمام بالحب وقتاً طويلاً، وهو ينتقي ويسترجع ويصنف ويويب، ويطلق التسميات الجديدة المستحدثة على ما أراه وجمعه، والحب جعله لا يكتفي بالقدماء كما فعل سابقوه من المصنفين، بل وسع ذاكرته، فكانت حماسة أبي تمام فتحاً أدبياً وشعرياً وتالياً يسيق إليه، صنفه بالحب وحده، لذلك تهافت كبار العلماء على الشرق والغرب للثناء به، ومن ثم اجتمع العلماء والأساطين والشعراء، ابتداءً من البحري ووصولاً إلى جهمرة الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري، والتي لم تتجز بتمامها وصدر منها جزء واحد.

وقد أجمع العلماء قديماً على أن كتب الحماسات كلها جاءت تقليدياً ومتابعة لما فعله أبو تمام، ولم تبلغ مبلغه، فهذه حماسة البحري، وكانت قريبة الزمن، ومتابعة تلميذ لأستاذه، بقيت من دون حماسة الأستاذ في تصنيقها واختياراتها، مع أن البحري حاول الإغتناء.. ولتلها الحماسات الشجرية والبصرية والمغربية، وجميعها ليست بتلك المكاة التي أخذها الأستاذ أبو تمام..

الحب دفعه للتأليف، وتقليد النجاح والإبداع دفعهم الجود بالشعر ومعانيه وصوره كان علامة الحب.

ما أبو تمام وبقي حبه

نقل فؤاد كحيت حيث شئت من الهوى

جرب إن أردت، لكنه يعفي الإنسان من التجريب والندم ما الحب إلا للحبيب الأول

الثبات على الحب والقطرة عصفان أروهما أبو تمام..

والحب امرأة وحب أول

والحب وطن يحوتي هذا الحب وهذا الحبيب

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

اغترب تتجدد.. سافر حيث شئت، اسكن المنزل الذي يحتويك اصنع الألفة معه وبينك وبينه، لا يهم، كما يدفك إلى أن تجرب حياً لتفهم أن الحب الأول هو الباقي، كذلك يدفك أبو تمام لألفة المكان، في كلا الحالتين الأول هو الباقي الوجه الأسر الأول الذي جذب قلبك

والمنزل الأول الذي شهد صرخة الوجود الأولى

من ذلك الرحم نزل

وتلك الأرض استقبلته

من رحم إلى امرأة

من امرأة إلى فضاء

من جاسم إلى بغداد إلى حصص وإلى مدائن الكون، وبقي الأول عنده،

الحب أول

المكان أول

المرأة وطن

والأرض وطن

نردد اليوم ما قاله أبو تمام، وخاصة عندما يستبد به الحفق فنستبدل الرحم الذي أخرجنا وطهرنا، ونفارق الأوطان والمنازل التي شهدت صرخاتنا..!

كان محباً وأعطانا تجربته الفنية..

ونحن ندور الكون ظانين أننا نبحت عن نواتنا

وحيث تدركنا الخيبة في كل شيء نستذكر فتى جاسم وحوران

نستذكر أبا تمام

ولكن ما كان أولاً هل يحفظ بنا بعد العهر؟!

لا يعني إن كان ابن أوس أو ابن ثوس، لكن الذي بعيننا أنه دلنا على نواتنا ومنزلنا، وحدد لنا وراسم الحب النبيل، الملون بصحراء وطهر روح.

إسماعيل مروة

غياب القطاع الخاص عن الإنتاج يحملنا مسؤولية مضاعفة

مراد شاهين لـ«الوطن»: السينما تحصد نتائج لا تستطيع الدبلوماسية في بعض الأحيان الحصول عليها



تصوير: طارق السعدوني

إيراداته على أفلام المؤسسة؟ الفيلم يحمل متعة وترفيهاً ويعتبر أول تجربة كاملة للقطاع الخاص في سورية ونحن نشجعها، ويبقى الجمهور هو الأساس في الحكم على هذه التجربة، ولكن إذا حللنا الصورة ومكونات اللغة السينمائية وأشياء لا يستطيع الإنسان العادي غير المختص الكشف عنها، نستطيع أن نقاش العديد من الملاحظات وبمحة كاملة لصناع الفيلم كي يتم تداركها في الأعمال المستقبلية، ولكن هذا حال أي فيلم سينمائي يمكن أن ينتج في أي قطاع، وكما قلت هي تجربة أولى نشجعها ونشد على أيدي من قام بها ونتمنى أن نرى تجارب مستقبلية لهم ولغيرهم من المنتجين.

● هل سنشهد بالمرحلة القادمة أفلاماً على خطا هذا الفيلم؟
اعتقد أننا سنلحظ مجموعة كبيرة من الأفلام وسنعمل أكثر من جهة على الإنتاج السينمائي إن كان بهذا الاتجاه أم باتجاهات أخرى.

● ما جديد المؤسسة؟
لدينا ٥ أفلام روائية سيتم إنتاجها، وعلى صعيد مشروع سينما الشباب، زدنا الشروط للذين لهم رغبة في تجربة الإخراج السينمائي لارتفاع بمستوى المشروع ويكونون قادرين أكثر على استعمال أدواتهم بالأفلام التي يخرجونها وهناك أفلام قصيرة احترافية.
كما أننا قدما اقتراحاً لوزير الثقافة من أجل العمل على زيادة الخطة الإنتاجية، فوافق مشكوراً عليها، ولكن تعلمون أننا جهة قطاع عام فلا بد لنا من أخذ موافقة وزارة المالية وتخصيص مبالغ للأفلام الجديدة وهذا سيتم في الشهر السابع عندما يحين موعد مناقشة الميزانية، ولكن أهم ما تتضمنه الخطة الجديدة هي فيلم يسمى الفيلم الأول لمخرجه والفئة المستهدفة من هذا الفيلم هم الشباب الأكاديميون الجدد الذين أنشأوا دراستهم السينمائية وعادوا للقطر وخصوا للعديد من التجارب في المؤسسة العامة للسينما، وأتت فكرة هذا الفيلم من مبدأ واحد ألا وهو أنه حق للمخرجين السينمائيين الأكاديميين الشباب فقط، أي لا يوجد من يأخذ هذه الفرصة منهم، والفرصة تتمحور حول دعم هؤلاء الشباب وخلق مخرجين سينمائيين محترفين جدد بالدرجة الثانية، ولدينا فيلم مخصص للإنتاج المشترك تشجيع القطاع الخاص على خوض تجربة الإنتاج السينمائي، إضافة إلى إنتاج ٧ أو ٨ أفلام في العام، وقريباً سنبداً بإنتاج فيلم من إخراج نجدة أنزور يتحدث عن الدور المنتج للعصابات المسلحة والإرهاب الذي ضرب سورية وساهم في تدمير الإرث الحضاري من خلال هدم المناطق الأثرية مثل مدينة تدمر، وجانب من الفيلم يتحدث عن الدكتور خالد الأعدود وورثه الأساسي في حماية هذه المنطقة واستشهاديه في سبيل حمايتها.

● عرض فيلم (رد القضاء) بالألمم المتحدة، برأيك كم للسينما من دور دبلوماسي يصعب على الدول لعبه؟
السينما هي المرأة التي تعكس روح المجتمعات والهوية الحقيقية لأي مجتمع، وتبرز عاداته وتقاليد ومسيرته التاريخية، والسينما تستطيع أحياناً أن تحصد نتائج لا تستطيع الدبلوماسية ببساطة الحصول عليها، ومن هنا أتت أهمية عرض الفيلم في الأمم المتحدة لإثبات هويتنا، والتأكيد أن ما يحدث في سورية هو إرهاب كامل مدعوم من دول غربية وإقليمية، وأن الدولة السورية ما زالت قائمة وقوية وتقوم بكل واجباتها تجاه المجتمع السوري، ونشكر البعثة السورية التي قامت بهذا التنظيم.

المؤسسة ستبقى متهمة لأنها الإستديو

الوحيد المنتج للسينما في سورية

إلى غياب مؤسسة أكاديمية تعنى بتخريج مواهب مباشر على تطوير العملية الإنتاجية السينمائية كما ونوعاً وفي جميع المجالات.

● هل هناك حلول سريعة في الأفق؟
تقدمنا منذ العام ٢٠١٨ بمشروع له علاقة بلحظ أماكن عرض سينمائية في كل الأماكن التي سيعاد إعمارها، وشكلنا لجنة درست المحافظات والمراكز الكبيرة التابعة لها والتعداد السكاني فيها، لنحدد عدد دور العرض الواجب إنشاؤها، وهي أكبر مشجع للقطاع الخاص الذي يجب أن ينشئ أيضاً دور عرض خاصة به، وكذلك إنشاء نواد سينمائية لاستقطاب الناس وتوعيتهم على الثقافة السينمائية وتقوية الذائقة السينمائية لتساهم في إعادة إعمار النفس البشرية.

● متى علينا أن نخرج من موضوع الحرب؟
لا نستطيع الخروج منه لأننا ما زلنا في الحرب، وقد نستطيع أن نعالج بعض الأفلام التي تتناول الحرب على سورية من خلال طرح الكوميديا السوداء وليس بالضرورة أن تكون كل الأفلام سوداوية بشكل مباشر.
عملياً تجاوزنا أصعب سنوات الحرب على سورية، واليوم نشهد منعكسات ارتكاسات هذه الحرب على المجتمع السوري، الأمر الذي يحملنا مسؤولية إضافية بمعالجة ارتكاسات الحرب وآثارها السلبية على المجتمع، والمشاركة في البناء العقلي وإعادة إعمار الفكر من خلال مشاريع نطرحها للأطفال بالدرجة الأولى لنسهم في بناء جيل قادر على الإبداع، والعمل على صقل المواهب من خلال ورشات كتابة السيناريو والإخراج، ونطمح أن نحيط بكل مدارس القطر ولكن هذا المشروع بحاجة إلى تكافل مجموعة من الوزارات.

● تهمون بأن الأسماء ذاتها تتكرر؟ كتابة وإخراجاً وتمثيلاً في إنتاجات المؤسسة.. لماذا؟
هذا الاتهام يتعرض له المؤسسة أكثر من مرة وحسب قانون إحداثها وقانونها الصريح يجب عليها أن تعطي فرصاً لإخراجية للمخرجين الموهوبين فيها فقط، ومنذ فترة كان عددهم لا بأس به، أما اليوم فلدينا مخرجان اثنتان في المؤسسة مع هذه الوفرة في الإنتاج وهذا ما ساعد على استقطاب أسماء من خارجها.

● ورأينا عودة الأسماء الكلاسيكية في السينما السورية بعد غياب طويل مثل فيلم «دمشق حلب» (دريد لحام، وصباح الجزائري، وكندة حنا) وأفلام أخرى (أمل عرفة، فيدي صبيح، ورنما شميس) و(غسان مسعود) في فيلم (الاعتراف) الذي سيرعرض قريباً، وأيضاً سيف سبيعي وسابقاً أحمد إبراهيم أحمد، والآن هناك أسماء جديدة درست خارج القطر وعادت لتأخذ فرصتها بأفلام روائية طويلة.

● لكن المؤسسة ستبقى متهمة لأنها الإستديو الوحيد المنتج للسينما في سورية وأفهم رغبة المخرجين والمثّلين في العمل السينمائي، وإلى أن تشهد نشاطاً إنتاجياً للقطاع الخاص بحيث يصيح الإنتاج السينمائي يستوعب كل المواهب الموجودة في السوق السورية.

● تجربة «بوط كعب عالي» كفيلم تجاري والإيرادات الكبيرة التي حققها، هل تتطلب

لطالما أثبتت السينما أنها واحدة من أهم الفنون وأكثرها تأثيراً في المجتمعات، تعانق خصوصية الشعوب، تضي بصفتها وعاداتها وتلاص مشاكلها وتبرز نقاط ضعفها، لتكون الوجهة الحقيقية التي نستطيع من خلالها التعرف إلى ثقافات متنوعة. ففي الحروب نرى المشهد السينمائي يتسع ليضم معه أشكالاً مختلفة من الدراما والصدام الإنساني من خلال قصص وحكايات نموية وصراعات أنلية تدور بين الأمم والشعوب والجيوش، ولعل اندلاع الحرب في سورية وامتدادها ودمويتها وقسوتها ساهمت بإطلاق العنان للسينما ومحاكلتها الحرب بقصص ومرويات حقيقية وافتراسية لتكون مرآة ووثيقة تثبت للعالم وللأجيال اللاحقة أن الشعب السوري قاوم واستبسل في الدفاع عن ترابها وأزحف دماء فداء لها.

واليوم تشهد السينما السورية عودة لنخبة من المبدعين بعد غياب طويل، ولكن رغم تنوع العناوين وتعدد الحكايات ما زالت السينما تخطف وتقتل وتعيش حرباً طاحنة مبرحة في نطاق الحرب. وكذلك تأثير ودور القطاع الخاص الذي يحمل في غيابه المؤسسة وزر عملية الإنتاج السينمائي كاملة، وشح دور العرض على امتداد الرقعة السورية، ما دفعنا للغوص بمميزات ومشكلات السينما السورية ووزارة أهل الاختصاص محدثين مطولاً مع مدير عام المؤسسة العامة للسينما مراد شاهين الذي حمل بائبساتمه أملاً كبيراً وأطموحاً بزيادة الإنتاج السينمائي في العام الواحد وخطط عديدة قيد الدراسة، ورحب بكل من يملك مشروعاً سينمائياً خوض التجربة، مبيناً الدور الجاد الذي يقع على عاتق السينما في إعادة إعمار الفكر والعقل وتقوية الذائقة السينمائية لدى الجمهور السوري وكان هذا الحوار:

● تقولون إنكم تقدمون قيمة فكرية، هل تشكل وحدها حاملاً للإنتاج السينمائي؟
المؤسسة العامة للسينما تعنى بالمشأن الثقافي بالدرجة الأولى، أي إن الحامل الأساسي لأي عمل هو حامل فكري له رسالة أخلاقية وفكرية ومعالجة جدية تلاص واقع المجتمع السوري وهمومه، ولدى كل مخرج طريقة لنقل القصة من الورق المكتوب إلى الشاشة عن طريق السرد الصوري.

● هل هناك اتفاق بين الكاتب والمخرج والجهة المنتجة على القيمة الفكرية؟
لا يوجد اتفاق مسبق، لكن الكتاب والمخرجين العاملين في الحقل السينمائي يعرفون طبيعة الأفلام المنتجة في المؤسسة، والتي يجب أن تحمل في مضمونها رسالة ثقافية معينة، ويدركون تماماً طبيعة القضايا الجادة التي تتعامل معها، وضمن هذا الإطار يتم العمل مع النصوص.

● من يحدد القيمة الفكرية؟
العمل نفسه هو يحدد قيمته الفكرية من خلال المضمون الذي يعالجه والطريقة التي يتناول بها هذا المضمون.

● كلاسيكيات السينما السورية والعربية كانت جماهيرية، على حين تتفقد السينما السورية اليوم الجماهيرية ماذا؟
هناك عدة أسباب منها غياب قسم من الجماهير عن العروض السينمائية وأهم الأسباب أننا اليوم في زمن يختلف عن ذلك الزمان في تلك الفترة حيث كان هناك العديد من الصالات السينمائية المتوزعة على كامل مساحة القطر وكانت هذه الصالات تسهم إلى حد كبير في نشر الثقافة السينمائية، والسبب الآخر هو غياب القطاع الخاص الذي يفرض أن يقدم نوعاً من المتعة والتسلية، ويحمل دوراً أساسياً وريدياً للإنتاج السينمائي في سورية، وهذا الغياب ساهم بشكل كبير في انخفاض كمية الأفلام المنتجة في سورية والتي أدت بدورها إلى إغلاق العديد من صالات العرض، إضافة إلى مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تركت أثرها على الساحة السينمائية.

● لماذا نغول كثيراً على القطاع الخاص؟
نغول عليه لأنه كما ذكرنا رديف أساسي لتطوير العملية السينمائية في سورية إضافة إلى أن نوعية الأفلام المنتجة فيها لها أهداف معينة وأهمها: تحقيق النعته للمتلقى السينمائي، كما أن وجود القطاع الخاص سيخلق مساحة أكبر للمنافسة في الساحة السينمائية.

● تلحظ السينما السورية غياب أسماء كبيرة عنها مثل: «بسام كوسا وعباس النوري...» لماذا؟
المؤسسة العامة للسينما ترحب بجميع المواهب والكوادر الوطنية التي كان لها بصمة في تاريخها أو في تاريخ الدراما السورية وهي منفتحة على الجميع وأكبر مثال شهدناه في العامين السابقين لأننا ما زلنا نعيش غسان مسعود ودريد لحام وصباح الجزائري وأيمن زيدان وأسماء أخرى ظهرت مؤخراً في الأفلام السورية هذا أكبر دليل على أن المؤسسة العامة للسينما منفتحة على الجميع وليس لديها موقف مسبق تجاه أحد وخصوصاً القامات الوطنية الفنية التي بقيت في سورية خلال سنوات الحرب.

● هل تعاني المؤسسة أزمة كاتب أو مخرج أو جهة إنتاج؟
السينما في سورية تعاني أكثر من مشكلة أوالها غياب القطاع الخاص عن الإنتاج الذي يحمل المؤسسة مسؤولية مضاعفة، وواحدة من المشاكل الأساسية أيضاً غياب دور العرض وعدم توافرها بشكل أفقي على كامل مساحة الأراضي السورية حتى يتمكن الجمهور السوري كله من التعرف عليها، إضافة



من فيلم «دمشق - حلب»



من فيلم «مطر حمص»